التاريخ وجدل الإيديولوجيا في الرواية الكولونيالية "رواية الطلسم أنموذجا"

History and the dialecteic in the colonial novel "the tolisman noval as a model

أحمد زكري *

تاريخ الإرسال: 2025/03/13	تاريخ القبول:2025/05/12	تاريخ النشر:2025/06/22

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معالجة كيفية اشتغال الأبعاد الإيديولوجية في رواية الطلسم للكاتب والتر سكوت، باعتبارها من الأعمال الأدبية ذات الحمولة الإيديولوجية المرتبطة بالنزعة الكولونيالية، والتي تثير إشكالات جوهرية في محور العلاقات بين الشرق والغرب في مرحلة الحروب الصليبية، وذلك عبر جملة من الصراعات التي ينظما الروائي بين شخصيات عمله الأدبي، وهذا بغية تمرير مواقفه وأفكاره من جهة ثم تبرير هذه المواقف والأفكار من جهة ثانية.

الكلمات المفتاحية: الإيديولوجيا ، الطلسم ، الشرق ، الغرب ، الكولونيالية.

Abstract:

This study aims to examine how ideological dimensions are employed in Walter Scott's novel "Al-Tilsam," considering it as a literary work with ideological content linked to colonial tendencies. The narrative raises fundamental issues regarding the East-West relationships during the Crusades, portraying a series of conflicts orchestrated by the novelist among the literary characters. The objective is to convey and subsequently justify the author's positions and ideas.

***Key words**: Ideology, Al-Tilsam, East, West, colonialism.*

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

* العنوان zekri.ahmed@univ-medea.dz

المؤلف المرسل : أحمد زكري zekri.ahmed@univ-medea.dz

. مقدمة:

يتفق معظم النقاد ودارسي الأدب على أن الرواية من الأجناس الأدبية الغنية بحمولاتها الإيديولوجية، والتي تختلف في تشكلها وسماتها تبعا لاختلاف وتنوع شخصياتها والرؤية الفكرية لكاتبها، ومن بين الروايات الثرية بالأبعاد الإيديولوجية نجد رواية الطلسم للكاتب والتر سكوت، هذه الرواية التاريخية التي ارتضيت مقاربة الأبعاد الإيديولوجية فيها، تُحدثنا عن بعض المواقف في فترة الحروب الصليبية بين ريتشارد ملك أنجلترا وصلاح الدين الأيوبي السلطان العربي، حيث عمل سكوت على صياغة روايته وفق ما كان رائجا في تلك الفترة من علاقات بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، هذا مع تزييفه لكثير من الوقائع التاريخية، وإيراده لبعض الشخصيات الغير موجودة في مسار التاريخ، ولكنه مع ذلك فقد استطاع أن يبدع لنا عملا فنيا تتجسد فيه كثير من العبر والأفكار التي تحث على ضرورة قراءة التاريخ، والاطلاع على أهم محطة من محطاته وهي فترة الحروب الصليبية، إضافة إلى تضمين البنية السردية لمتن الرواية بعدة أبعاد إيديولوجية عمل الكاتب على بلورتها وفق ما يريد التلميح له، من خلال التخفي وراء الحوار الذي جرى بين شخصيات عمله من جهة، ثم ما يبدو في الخطابات غير المباشرة التي يضطلع بها الرواي أو السارد من جهة ثانية.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي مع الاستعانة بالمنهج المقارن، لأن الدراسة تندرج ضمن الصلات القائمة بين عالمين مختلفين من حيث الثقافة، والسمات الحضارية، وكانت خطة الدراسة مؤلفة من مقدمة وثلاثة عناصر تضمن الأول منها: لمحة عن العلاقة بين الرواية والإيديولوجيا، أما الثاني فيحدثنا عن مجالات الإيديولوجيا، ثم الثالث الذي تعرض إلى أهم الأبعاد الإيديولوجية الموجودة في الرواية، بالإضافة إلى خاتمة تبين أهم النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة، وأخيرا

قائمة بأهم مصادر ومراجع الدراسة، أما عن الإشكالية التي يمكن طرحها في هذا البحث فهي؛ ما أهم الأبعاد الإيديولوجية التي تمظهرت في رواية الطلسم لوالتر سكوت؟ وما علاقتها بالفكر الاستعماري الغربي تجاه عالم الشرق وكيانه؟

2. الإيديولوجيا؛ ماهيتها، مجالاتها؛ وآليات اشتغالها في الرواية

1.2 الإيديولوجيا والرواية:

إن المقاربة الأولية لمصطلح الإيديولوجيا تحيلنا إلى وصفه بعلم الأفكار، وذلك استنادا إلى مدلول لفظتي (idea) و(logy)، أي العلم الذي يهتم بدراسة مجموعة معينة من الأفكار التي يحملها فرد أو جماعة تجاه نمط من أنماط الحياة، وتعد" **كلمة الإيديولوجيا دخيلة على جميع اللغات الحية. تعني لغويا، في أصلها الفرنسي، علم الأفكار**[1]" فالأيديولوجيا اتجاه جديد لم تعرف بوادره منذ العقود القديمة الماضية، بل راج وانتشر قبل فترة غير بعيدة، ففي فرنسا مثلا قدم العالم دوتراسي" **مذكرته حول ملكة التفكير، وفيها يقترح، للمرة الأولى، تسمية الفلسفة الجديدة، والتي هي في الوقت نفسه، علم الإنسان والمجتمع، بالإيديولوجيا(L'idéologie)**[2]"ومما يمكن قوله، إنه منذ العصر الحديث وحتى وقتنا الحاضر لم تعد الأفكار التي يبني من خلالها الكتاب والأدباء قصصهم ورواياتهم بريئة، بل أصبحت مستندة إلى إيديولوجيات معينة، وهذه الإيديولوجيات تشكل لنا بدورها نصا أدبيا يتضمن هو الآخر إيديولوجيا معينة، تعبر في غالب الأحيان عن رؤية صاحب النص الذي صاغها في متن عمله الأدبي بأسلوب فني جمالي، بغية إيصال ما يريد البوح به، إما بصورة ظاهرة جلية للعيان، أو بصورة خفية لا تكاد ترى إلاّ للقارئ المثقف، القادر على فك شفرات النص والوصول إلى معناه.

2.2 مجالات الإيديولوجيا:

ترتبط الإيديولوجيا بعدة مجالات؛ لعل منها: الارتباط بالحقل السياسي حيث" **يرى المتكلم أدلوجته الخاصة عقيدة تعبر عن الوفاء والتضحية والتسامي ويرى في أدلوجات الخصوم أقنعة تتستر وراءها نوايا خفية لا واعية يحجبها أصحابها حتى**

على أنفسهم لأنها حقيرة لئيمة[3]" وفي هذا القول تظهر تسمية أدلوجة عند **عبد الله العروي** كمقابل لكلمة إيديولوجيا، ويوضح الناقد بيان الصبغة النفعية التي تتخذها الإيديولوجيا في مجالها السياسي، فما يهم لدى المتكلم هو إقامة حجته المبنية على عقيدة الصالح العام، وحب الخير، على حجة وأدلوجة خصمه التي تحمل النوايا السيئة والفكر المعادي للآخرين "**فدارس الإدلوجات لا يحكم عليها من زاوية الحق والباطل، وإنما يصفها فقط بالنظر إلى فعاليتها، إلى قدرتها على استمالة الناس والاقتراب من أهدافها**[4]"، حيث تعمل الأحزاب السياسية على استعمال الخطابات المعتمدة على الإغراء، والتمويه، من أجل الترويج للأهداف المراد تحقيقها من وراء هذه الخطابات، وتتخذ في ذلك لغة تتناسب ومستوى الوعي الجماهيري للفئة المراد التأثير عليها وجذب اهتمامها وتعاطفها، وسواء أكانت الأفكار التي يروج لها الحزب السياسي تخدم أفراد الفئة التي يقصدونها، أو تعمل على الحط من قيمها وتثبيط عزيمتها.

ومن بين الميادين الأخرى التي ترتبط بالإيديولوجيا نجد اللغة، لأن هذه الأخيرة تظهر أهميتها "**بالنسبة للإيديولوجيا في أنها الوسيلة الأساسية المستخدمة في نقل الأفكار وتحليلها وتعليل وجودها ومراميها، فالإيديولوجيا قارة في اللغة التي تفصح عنها وتتطور بفعل تطور اللغة**[5]" فإذا كانت الإيديولوجيا هي المحتوى والجوهر، فإن اللغة هي الشكل الذي يضم هذا المحتوى وينظم أطره ويوجه مساره، فمتى غابت اللغة غاب الفكر ولا نستطيع التفكير إلا باللغة وعبرها، ولأن اللغة هي المحرك الأساس للإيديولوجيا يمكننا الحديث عن كيفية اشتغال الأنساق الإيديولوجية داخل الخطاب الأدبي عموما، والرواية بصفة خاصة" **وعلى هذا الأساس فإن الإيديولوجيا تدخل الرواية باعتبارها مكونا جماليا لأنها هي التي تتحول في يد الكاتب إلى وسيلة لصياغة عالمه الخاص**[6]" فمعلوم أن الرواية تتمتع بتنوع واختلاف شخصياتها، حيث نجد لكل شخصية

إيديولوجيتها الخاصة التي تختلف عن إيديولوجيا الشخصيات الأخرى، وبالتالي نجد نسيجا من الإيديولوجيات التي تتضافر وفق رؤية معينة أرادها صاحب الرواية.

ففي ثنايا متن العمل الأدبي يعمل الروائي على تحميل المكان، والزمان، والشخصيات، والأفكار التي تحملها هذه الشخصيات بأيديولوجيات معينة تختلف باختلاف الرؤى التي يعمل الكاتب على توضيحها للقارئ، وهذا دون نسيان عنوان الرواية الذي يبنى وفق اتفاق بين الكاتب والناشر وما يحمله من إيديولوجيا تعبر في الغالب عن إيديولوجيا المؤلف الذي يسعى إلى إيصالها للعالم في صيغة عمل فني، وقد قيل "**إن صوت الكاتب في الواقع(أو إديولوجيته) يكونان موجودين ضمن الأصوات المتعددة المتعارضة منذ بداية الرواية، غير أن جميع هذه الأصوات تبدو متعادلة القيمة بحيث يكون من المتعذر تماما تحديد الموقف الذي يتبناه الكاتب مادام يدير الصراع الإديولوجي في شبه حياد تام**[7]" حيث لا يمكن الحكم على إيديولوجيا المؤلف في بداية العمل الأدبي من خلال العتبات النصية التي تشكل معمار الأثر، بل يتطلب ذلك الانتهاء من قراءة العمل والنظر في الأبعاد الإيديولوجية التي تتسم بها الشخصيات والفضاء والزمان، وكل ما له علاقة بالبنية السردية لخطاب الكاتب.

كما ترتبط الإيديولوجيا أيضا بالمجتمع، حيث يعتمد هذا الأخير على الإيديولوجيا التي تشكل أساس مكونات بنيته الثقافية والدينية والاقتصادية..."**وإنه لمفهوم إيديولوجي عن العالم ذاك الذي استطاع أن يصور المجتمعات من غير إيديولوجيات**[8]" فكل مجالات الحياة المجتمعية للإنسان إلا ولها روافد إيديولوجية تنظم سيرورتها وتحافظ على بقائها، والفكرة القائلة باستغناء المجتمع عن الإيديولوجيا إنما تهدف إلى علمنة كل تركيبة وبنية مجتمعية، وهذا ما لا يمكن تصوره فالفنون مثلا تفقد أهميتها وجماليتها إذا حل محلها العلم، والأمر سيان بالنسبة للأخلاق والدين، "**ولإيجاد علم حقيقي بالوقائع المجتمعية، كان لابد من التوصل إلى أن نرى في المجتمعات وقائع يمكن مقارنتها بالوقائع في المجالات الأخرى**[9]" وهذا القول يبين

إمكانية أن تقوم الوقائع المجتمعية على العلم مثلها في ذلك مثل بقية العلوم الطبيعية الأخرى.

3. الأبعاد الإيديولوجية في رواية الطلسم

عُرِف السير **والتر سكوت*** بولعه الشديد بالمذهب الرومانسي في دراسة الأدب، وبتأثره بقصص الفروسية الرائجة في القرون الوسطى، لذلك كانت رواية الطلسم أحد الإبداعات الفنية التي تبين عن تأثر الكاتب بالحركة الرومانسية من جهة وبقصص الفروسية من جهة أخرى، أما موضوعها فهو سرد لبعض المواقف التي جمعت ما جرى في بعض الحملات الصليبية بين ريتشارد ملك أنجلترا وصلاح الدين الأيوبي سلطان الجيش العربي، وقد عمل سكوت على نسج روايته وفق مبدأ بيان العلاقات التاريخية بين الشرق والغرب من ناحية مع الإشارة إلى طبيعة العلاقات الموجودة داخل الغرب من ناحية ثانية، فجاء عنوان وشخصيات الرواية، وبنيتها الزمانية والمكانية، محملة بإيديولوجيات منتظمة وفق ما أراد الكاتب إيضاحه وتصويره، سواء بطريقة مباشرة، أو من خلال التلميح والإيحاء واستعمال مختلف الحيل السردية في صياغة متن الرواية، وللإشارة فإن سكوت قد أطلق العنان لخياله في بناء هذه الرواية، بحيث ضمن سرده ببعض الواقعات التاريخية التي لا أساس لها، كما زيف بعض الحقائق التاريخية بما يتناسب والطريق الذي ارتضاه لتمرير خطابه.

يبدأ سكوت روايته بعنوان الطلسم، والذي يشير عبر المدلول الظاهر إلى نوع من الطقوس يستخدمه السحرة وأتباع العالم الروحاني لعلاج مرضاهم، أو إلحاق الأذى ممن يرويدون النيل منه، غير أن القراءة الفاحصة لما جاء في فصول الرواية والفترة التي كتبت فيها، والعالم الذي ينتمي إليه كاتبها، يجعل من هذه اللفظة محملة بأبعاد إيديولوجية تشير إلى استخدام سكوت للطلسم كإشارة على سذاجة علم العرب، وبدائية تعاملهم مع المرض، فهم وإن استطاعوا علاج المريض المتمثل في شخص الملك ريشارد، غير أن طرقهم في ذلك تأخذ من عالم الشيطان وتستعين به.

ثم ينتقل سكوت إلى وصف أرض الشرق التي تتميز بالشمس المحرقة، وبحرها الميت الذي ليس كغيره من البحار، فيمنح فضاء الرواية أبعادا إيديولوجية تظهر عبر الحوار الذي جرى بين شخصياته، أو تدخلاته كراو شاهد على مجريات الأحداث، فممّا جاء في بدايات الرواية ما نلمسه من علامات التعجب والحيرة على أحد شخصياته وهو السير كنث حينما رأى البحر الميت، فقام ب"**رسم علامة الصليب على نفسه، وانتابته رعدة حينما تذكر أن تحت تلك الأمواج التي تتكسر في هدوء، تندثر مدن الوادي التي كانت تتيه يوما بعزها، فأنزل عليها ربك الصواعق من السماء**[10]" ففي ذكر البحر الميت، والتركيز على القصص المتداولة عن المدن المدفونة تحته بعد إيديولوجي ثقافي، يحيل إلى ما كان سائدا في الحضارة الشرقية القديمة إبان فترة عذاب الله عز وجل لقوم لوط عليه السلام، والذين عرفوا بالفاحشة وممارستها بصورة تقشعر لها الأبدان، فأرسل عليهم الله الصواعق وعذبهم أشد العذاب حتى بقيت آثار ما لحق بهم شاهدة على ذلك أبد الآبدين، وكأن سكوت بهذا الكلام يشير إلى أن الشرقي عرف منذ سالف الدهر بممارسة الفاحشة، وبعده عن طريق الحق الذي أمر الله بالسير فيه، ولا أدل على ذلك من قول الفارس الغربي للفارس العربي الذي التقى به" **إنَّني لا أتحدث عنك خاصة أيها العربي، وإنما عن قومك عامة وعن دينك، وليس العجيب أنكم تنتمون إلى الشيطان، وإنما العجيب أنكم تفخرون بذلك**[11]". بل إن سكوت يبالغ في ذلك بجعل شخصية الفارس الشرقي تعترف بكفرها ونسبتها إلى عبدة الشيطان، والافتخار بهذه النسبة، وذلك من خلال خطابه قائلا: "**وكان العلم السائد في هذا العصر هو قصص السحر والاتصال بالأرواح، ولذا فقد استمع السر كنث إلى رفيقه حينما اعترف بأصله الشيطاني، ولم تساور نفسه خلجة من شك، أو أثَر من عجب، ولكنه مع ذلك قد أحس بفرائصه ترتعد، حينما ألفى نفسه في هذا فالمكان المروع برفقة رجل أعلن صراحة عن أصله الذي ذكرنا**[12]"

ثم ينتقل سكوت إلى وصف فارس النمر الرابض، وسلاحه، وجواده، حينما التقى بالفارس العربي، فيقول"**جمع العنان بيساره، واستحث همة الجواد بمهمازه، واستعد للقاء هذا الغريب بنفس مطمئنة، لا يملكها إلا رجل حداه الظفر في كثير من المعارك**[13]" وهذا ما نلمس فيه أيضا بعدا إيديولوجيا ثقافيا يبين عن تميز الفارس الغربي بالطمأنينة التي اكتسبها بانتصاراته المتوالية في المعارك، فهو لا يخاف النزال لأن العدد الكثير من المنازلات التي خاضها قد توجت بانتصارات، وبالتالي ليس هناك من داع للخوف من العدو أو الموت، وهذا خلافا للعربي الذي وصفه بقوله" **وأقبل العربي يعدو، كما يعدو الفرسان من بني جنسه، مالكا زمام جواده بأطرافه وبكل جسمه، غير معتمد على العنان الذي أرسله مرتخيا في يسراه**[14] فالعرب حسب هذا القول كلهم متشابهون تلتصق بهم كل الصفات السلبية التي استطاع الغرب الخلاص منها بنبوغ فكره، وسمو منزلته، فمناخ العرب سيء، والحياة عندهم بدائية، وفرسانهم لا يحسنون حتى الإمساك بعنان الجواد.

ويمضي سكوت في سرده مركزا على صفات الذكاء والإقدام والقوة التي يتصف بها الفارس الغربي، وهو في ذلك يحيط جمله بحيل لغوية تجعل من يقرأ النص لأول مرة ينعته بالموضوعية والحياد في عرضه لصورة الشرق والغرب، غير أن خلف جمله أبعادا إيديولوجية ذات صبغة دينية، وسياسية، وثقافية، وهذا ما يظهر حين يقول"**أما الأمير العربي فكان على نقيض هذا الصليبي الغربي، قامته فوق متوسط الرجال، ولكنه كان أقصر من الفارس الأوروبي...إذ كان الأخير يقرب أن يكون عملاقا**[15]"

ويصف لنا الكاتب ما دار بين الفارس الغربي والعربي أثناء اتجاههما إلى رجل الدين **تيودوروت**، وعدم اكتراث العربي لحرمة القفر الذي كانا يسيران فيه، فالفارس العربي لا يفرق حتى بين مواطن الجد والهزل، ويتغنى بالكلمات التي "**لا تليق البتة بالفكر يحلق في سماء الجد والإخلاص لله، وهو ذلك الإحساس الذي ينبغي للمرء أن يحس به وهو**

في القفر الذي امتحن الشيطان فيه المسيح[16]" وكأن الفارس الغربي أراد أن يذكر العربي بآداب الذكر في الأماكن التي تتطلب أكثر قربا من الله عز وجل، وأشد حرصا في اجتناب ما يقرب من الشيطان وسلطانه، فالتمكن من المعرفة الدينية، وأركانها، وشروطها، لا يفقهها شرقي جاهل، إنما تحتاج إلى صاحب ذكاء ودهاء، ومثل ذلك: الفارس الغربي الذي ذكره صاحبنا، وهذا ما يمنح الرواية بعدا إيديولوجيا دينيا يؤثر في تكريس صورة نمطية للفكر الشرقي في تعامله مع المعتقدات الدينية وإساءة فهمها.

ويظهر التعصب الإيديولوجي لسكوت تماهيا مع شخصياته الروائية من خلال الأنساق المضمرة الواردة في ثنايا تدخلاته بين الفينة والأخرى في الرواية، ومن ذلك قوله في سياق اللقاء الذي جمع الفارسان الغربي والشرقي بالناسك **تيودوريك**" **وإذا كان العربي قد أُعجب بقوةِ نِدِه وهو مسلح بالحديد فهو الآن أشد إعجابًا بدقة التناسق البادية في جسمه المعروق المفتول العضل**[17]" فما يبدو عبر القراءة المفككة لنسق هذا الخطاب وجود بنية لغوية متمركزة حول الأنا وضخامتها، وذلك لما تحمله من مميزات تجعل الآخر ينجذب إليها معجبا، سواء أكان ذلك الإعجاب من حيث قوة السلاح أو للقوة البدنية البادية في شخص الغربي، وكأن سكوت يحاول القول بأن الغرب أقوى من الشرق في جميع المجالات، فالاستفادة من الحديد وجعله في خدمة الإنسان أول ما عرف عند الغرب، وكذلك البنية الجسدية والعضلات المفتولة ينفرد بها الغربي عن غيره، وهذا ما ينم عن الحمولة الإيديولوجية التي تكشفها مجموعة من الصورة المترسبة عن الذات والآخر.

ومن بين شخصيات الرواية الضاربة بأبعادها الإيديولوجية في سيرورة المتن الحكائي هي شخصيات الملك ريتشارد، هذه الشخصية الحقيقية التي حكمت أنجلترا حوالي القرن الثاني عشر ميلادي، ضمنها سكوت في بناء روايته بسمات القوة والبطولة والشجاعة، حتى أنه كون جيشا عزم على السير به إلى بيت المقدس، لولا الخذلان الذي لقيه من

بقية ملوك الغرب الذين تمكنت منهم الغيرة والحسد، فعملوا على زرع الفشل في أوساط الجيش وعثّروا الملك عن مبتغاه "**وزاد من وطأة الجو أن الصليبيين أطلقوا لشهواتهم العنان وانحلت أخلاقهم، وإن يكن هذا يُنافي كل المنافاة المبادئ والأغراض التي شهروا من أجلها السلاح، فباتوا فرائس سائغة لحمارة القيظ المحرقة، وقطرات الندى الباردة، وما لها من أثر وبِيل**[18]" ففي ثنايا هذا الخطاب تظهر تلك الدعوة الصارخة التي تنادي الجيوش الغربية وملوكها إلى توحيد الصف والتراص جنبا إلى جنب للنيل من العدو المشترك الذي يكيد لهم، وبالتالي لابد من مجابهته بالحكمة، والابتعاد عن كل ما يعيق سبيل القضاء عليه، وأهم ذلك توعية الجيوش بضرورة الابتعاد عن الشهوات والملهيات، لأن هذا يبعدهم عن المخططات التي عملوا على تحقيقها وإنجاحها، ولكن المرض وقع حائلا بينهم وبين تحقيق ما يصبون إليه، فقد أصيب الملك ريتشارد بحمى قوية جعلته طريح الفراش، وزرعت الوهن في جسمه، بل حتى في جيشه، وعدة من جيوش الغرب الأخرى، وقد قال لمرافقه (**توماس دي فو**) ذات يوم" **كيف أن عصبة من الملوك، وجمعا من الأشراف، وحشدا من فرسان أوروبا بأسرها، تخور قواهم من أجل رجل واحد قد وهن، حتى وإن يكن هذا الرجل هو ملك إنجلترا؟**[19]" فعبر القراءة النقدية للخطاب الصادر عن شخصية الملك ريتشارد، يحاول سكوت التلميح إلى توعية العالم الغربي بضرورة السير نحو التقدم والرقي، وعدم النكوص إلى الخلف بسبب مشاكل عصفت بثلة أو جزء من العالم المسيحي، فالرسالة التي تقع على عاتق هذه الأمة أكبر من ملك لا تنفرد الأمة بمثيل له، فدويلات الغرب كثيرة، ولكل دولة ملكها الذي قد يفوق هذا الملك قوة وذكاءً.

ويبدأ سكوت الفصل الواحد والعشرين بتصدير مأخوذ من مسرحية مكبث لشكسبير، من أجل إيضاح الخديعة التي استعملها **الشيخ النوبي** في تضليل الحراس بهدف النيل من الملك ريتشارد، ومما جاء في التصدير" **أنا القاتل الواهن** [20]" وكذلك "**أسير نحو**

الفريسة كما تسير الأشباح[21] " حيث يظهر في التصدير بعدا إيديولوجيا، يشير إلى الصورة السيئة التي يصف بها الشرقي نفسه بالوهن والتشبه بالأشباح أثناء مواجهة الخصم، وخير ما يؤكد ذلك ما يورده سكوت خلال دخول النوبي إلى غرفة الملك ريتشارد ومحاولته قتله غير أن عبده الأسود حال بينه وبين مقتل الملك.

ويقول سكوت في وصف قوة الملك وشجاعته حين قتل النوبي "**فنهض، وما عراه من الدهشة والغضب، أو ارتسم على محيَّاه انفعال ما، غير ما يبدي الرجل العادي حينما يُبعد عن نفسه زنبورًا دخيلا أو يسحقه** [22]"، فما يبدو في هذا القول، مبالغة سكوت في وصفه لموقف الملك حين تعرض للغدر من قبل الرجل النوبي الحريص على قتله، فصحيح أن للملك قوة لا يستهان بها، غير أن عدم انفعاله لحظة تعرضه للقتل، وتشبيه النوبي بالزنبور يمنح الحدث الماثل طابع الخيال، والابتعاد عن الواقع، فالرجل الذي تجاوز مجموعة من أشد حراس الجيش فطنة وقوة، بسهرهم على حماية الملك، لا يمكن أن يكون بمثل الضعف الذي وصفه به سكوت سواء أكان من حيث رجاحة العقل وحسن التفكير، أو من حيث القوة والشراسة والشجاعة.

4. خاتمة:

يمكن القول أن والتر سكوت بنى روايته الطلسم حول ما كان رائجا في فترة الحروب الصليبية من صراع بين الشرق والغرب، ومن خلال القراءة النقدية لهذه الرواية، نجدها محملة بعدة أبعادة إيديولوجية، يكشفها في البداية عنوان الرواية، وما يتضمنه من مدلولات تبين عن صورة الشرق التي حاول الروائي إبرازها من خلال لفظة الطلسم، واعتماد العرب عليه كعلاج للمرضى، لتأتي بعد ذلك شخصيات الرواية، وخطابها الضارب بأبعاده الإيديولوجية في عمق الأحداث، فقد أبدع سكوت في رسم شخصياته السردية، حتى أنه جعلها مختلفة المنابع فهي شرقية، عربية، نوبية، تركية، غربية، رغم ما يمكن قوله عن تنوع واختلاف بيئات وأصول الشخصيات الشرقية، بينما تظهر الشخصيات الغربية منتمية إلى البيئة نفسه، وموحدة تحت الانتماء نفسه، وقد صور سكوت كثيرا من الشخصيات الشرقية بسمات تبين عن ضعف الشرق وعالمه، وكل مكوناته الثقافية والإنسانية، إضافة إلى ترويجه لخطاب يحمل أفكارا تدعو

العالم الغربي إلى توحيد الصف، والقضاء على الفتن والأزمات الداخلية بين دوله، والتي تقف حائلا في سبيل الانتصار على الخصم، وتحقيق التطور في شتى مجالات الحياة، وقد صيغ كل ذلك بواسطة اللغة كمصدر لتضمين الخطاب بمختلف الأبعاد الإيديولوجية من جهة، والكشف عن شخصية الروائي وفكره من جهة ثانية.

5. الهوامش:

*** *** ***

[1] عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012م.ص09.

[2] عبد الله إبراهيم، ما هي الإيديولوجيا؟، دار التنوير، ط01، بغداد، 2017 ، ص48.

[3] عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا مرجع سابق، ص10.

[4] المرجع نفسه، ص10.

[5] كمال رايس، في معنى الإيديولوجيا، مرجع سابق، ص12.

[6] حميد لحميداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، مرجع سابق، ص33.

[7] المرجع نفسه، ص36.

[8] محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، الإيديولوجيا، مرجع سابق، ص08.

[9] عبد الله إبراهيم، ما هي الإيديولوجيا؟، مرجع سابق، ص42.

[*] كاتب وشاعر أسكتلندي، ولد في أدنبرة عام 1777م وتوفي عام 1832م، تقلد عدة مناصب منها عمله بالمحاماة، واشتهر بعدة أعمال فنية، حتى إنه عد مؤسس الرواية التاريخية، ومن بين أعماله رواية إيفانهو، ورواية الطلسم موضوع دراستنا.

[10] والتر سكوت، الطلسم، تر: محمود محمود، مؤسسة هنداوي، د ط، 2020، ص22.

[11] المرجع نفسه، ص50.

[12] المرجع نفسه، ص50.

[13] المرجع نفسه، ص25.

[14] المرجع نفسه، ص25.

[15] المرجع نفسه، ص34.

[16] المرجع نفسه، ص49.

[17] المرجع نفسه، ص63.

[18] المرجع نفسه، ص84.

[19] المرجع نفسه، ص90.

[20] المرجع نفسه، ص255.

[21] المرجع نفسه، ص255.

[22] المرجع نفسه، ص256.